

بقايا صور للسوري نبيل الملاح

قيمة فنية عالية، وقامة سورية من الطراز الفريد.. بدأ مبدعاً، وغادر متمسكاً بأهداه إبداعه الأصيل.. انحاز منذ عودته إلى البساطة، وكانت آراؤه مسيرة لمشروعاته، فمن جانب وطني وأنساني بسيط اختار حيدر تحمل العنوان (اللهد) فأخذه عن رواية قصيرة أحيدر حيدر تحمل العنوان نفسه، وكثير من النقاد والناس يرون أن هذه الشخصية حقيقة، وقد صاغها أكثر من مبدع.. اختار نبيل الملاح أن يبدأ مع السبطاء، فكان أبو علي شاهين الرمز البسيط الذي حوله بابداعه وكميراته وثقافته من رجل بسيط في مناطق بعيدة إلى رمز في السينما السورية، ليصبح فيما بعد واحداً من كلاسيكيات السينما السورية والعربية والآسيوية.. شأنه شأن المبدعين الكبار لم يختبر مثيله من المتأخر، بل أجرى مسابقة واختبارات لاختيار الذي سيكون زعن البساطة، فاكتشف المبدع التشكيلي النجم أبيب قدور، ومع أبيب قدم شخصية لا تنفي مع إغراء في دور العمر، ربما تنازع نبيل الملاح مع أبيب قدورة في بذرة الإبداع، فكلهما تشكيلي يعني بالرسم، وكلها لا يكترث إلا لفن الجميل الذي ينبع من ذاته ليسكته.. نبيل الملاح قد يكون الوحيد الذي لم يركن إلىنجاح تجربته الأولى، ولم تسكته فرحة بما أجز وجالواز التي انهالت عليه، ولا يحول نجمه المكتشف أبيب قدورة إلى نجم عربي يشارك في كثير من الأعمال المشتركة.

بقى نبيل الملاح يجوب شوارع دمشق يرسو عينيه في مواجهة الشمس، ويربع في اختيار خطوة لا تقل عن سابقاته، ومن جيلنا الذي عاصر بدايات مهرجان دمشق السينمائي ينسى تلك الفيلم الذي أجزجه نبيل الملاح عن رائعة حنا هنية (بقايا صور) إذ برع في استعارة أبيب قدوره واستبطاط إبداع سمر سامي، ونكتة حنا هنية القديمة، ولعل الملاح هو أشرع من قدم ميالة في الجانب السينمائي، مع أن أعمالاً عديدة قدمت عن روایات الكاتب الكبير.

لم يركن الملاح لتقديم الفيلم الشخصي، أو فيلم السيرة الذاتية، ولم يقدم الفيلم التخيوي الذي يصلح لمهرجان، ولكنه بابداعه وحرفيته وصدقه، قدم المعادلة الناجحة في فيلم يقصد الجوائز، وفي الوقت نفسه يحصل رضا الجمهور عند عرضه، والفهد إلى اليوم وبقايا صور لو عرض على الحصدا، إعجاباً لا متناهياً على الرغم من التقنيات الجديدة، ومع أن الأول بالأبيض والأسود، لكن براءة الملاح وحرفيته جعلت عمله أقرب للأفلام السينمائية الإيطالية التي تستمتع برويتها في أي وقت، وتحت أي ظرف، مما كان التقدم التقني، لذا اختير الفيلم بين أفضل الأفلام الآسيوية منذ سنوات.

لم يسركه النجاح الذي حققه، وبقي ذلك الذي يحجب شوارع دمشق شيئاً على الغالب من جادة الوربرة حيث اختار بيته وحديقته، مروراً بمقاهي مشق المديدة، وصولاً إلى دمشق القديمة، كثيراً ما يستوقف نبيل وأنت معه، ويسرح صامتاً، ثم يمشي من دون أن يتحدث، وعلىك أن تعلم أنه النقط شيئاً، دونه على ورقة من أوراقه الكثيرة التي يضعها في جيبه، وعلى الغالب ستنضئ هذه الورقة لأنها رُسخَت في ذاكرته.

وابتع الملاح انجياده إلى البساطة، وإلى التجربة السينمائية، وكلما تحدث معه يقول لك: لدى مشروعات كثيرة، ولا يعبر عنها بسمية الأفلام، لأنه في كل عمل يقم بتجربة، وفي انجياده هذا قدم الصديق الراحل تجربة من أربع التجارب (الكومبارس) ليكشف جانباً مهمَا من إبداع سمر سامي، وما عرفه من إبداع سهام كوسا، ولا أظن قليماً سورياً أثار لفظاً وردة فعل إيجابية كما فعل هذا الفيلم، لقد كان نبيل الملاح مبيضاً ومحنتقاً ولا يكرر ذاته.

ومشروعه الأثير أسمهان الذي بقي يحمله سنوات طولة،

يُخاف عليه، لم يكن ليخرج كما خرج لولا أنفاس نبيل، وإن

كانت القطبنة المخفية.

لم يتوان بين تجربة وأخرى أن يهرب إلى الرسم والموسيقى والقراءة والأفلام التسجيلية، وفي آخر تجاري التي شهدتها كان نعمل في مشروعات للهيئة السورية لشؤون الأسرة، ففجاجاً الجميع بفيلمه التسجيلي الراقي المفزع (العشام ودينبي) وجرت حوله ندوات كثيرة، ولقي ردود أفعال متضاربة، لكن الملاح قدم ما عجزت عنه الدراما، وحول كل طفل إلى نجم، وكل مهمشة إلى نجمة.

اعتزل.. ابتعد.. هذا خيارة.. كان صامتاً دامع العينين،

لم يخرج عن تهنيء أبي وقار.. تناول وجبة سريعة في ركن مخصوص، أصابعه ترتجف، لا يتم طعامه.. يخرج إلى الشمس

الحارقة، يبدأ التهاب لفافة تبغ مميزة، وحين ينطأط نراعك

يرتجف.. وعند الوداع تدمع عيناه كثيراً، ويطبل عنانه، لا

أنسي عبارته التي دونتها قبل مدة: (العشام ودينبي) نظرت

إليه، فقال لا تصدى، أنا لا دور لي، أنا الكومبارس عالشام ودينبي..!

هل كان نبيل الملاح بقامته الأعظم من الإكسسوارات التي تقول: أنا قامة سورية شامية يختصر رحله في بقايا صور؟ ربما..

وداعاً نبيل، وأنت تعلم أنني سأشاتلك، ونلتقي ونتحاور

باختلاف، لكن بصوت الخفيض الذي لا يغار الذكرة.

وستبقى السينمائي الخالص للسينما، المؤسس والعاشق،

المخاصس السينمائية بضمونها كافة رواية وتسجيلاً..

رحلت أنها نبيل وفي فمل كلام كثير لا أود ذكره إذ اكتشفت

الحقيقة مبكراً، ولكن بعد أن خسرتك الكاميرا مبدعاً في

الأزرقة والأحياء، وافتقد الإنسان الذي جعلته هك عمستك

التي تنقل الجر العاثر، وتصور نزف الإنسان..

وداعاً بليل، وقد بقيت على قناعاته ولم تحد عنها حتى رحلت

وأنت ترقب الشمس الساطعة الحارقة التي تتفقد روعة

شمس دمشق التي أمنتها.. مختلف مع بعضها أو تتفق مع

البعض الآخر لكن الشيء الذي لا يختلف عليه أنت كتب نبيل حتى أبناء الخلاف معك.

وداعاً أيتها القامة السورية التي ينذر أن تجود الكاميرا بمثل رهافتها.

سامعيل مروة

الفن الحقيقي هو إعادة اكتشاف نفسك

نبيل الملاح في الذاكرة... قامة ثقافية سورية تستحق الوقوف والوداع

وجдан المخرج وعشقه في حديث لم ينشر



| عامر فؤاد أمّار

كان لي شرف اللقاء مع المخرج نبيل الملاح في حديث أجريته لصالحة صحيفة إنسانية ناضجة للمرأة حينها، وبقي جزء منه لم ينشر، كنت قد أبقيته لمشروع حول السينما والسينمائيين في سوريا.. واليوم وقد فقدناه حسورة بيتنا كان لأبي من نشر بعض النقاط التي احتفظ بها مسلسله (نبيل الملاح) رسم في وجдан السينما السورية، لا يمكن تجاهلها، ولا يمكن غض البصر عن عطائه، وهو السياق بتنا يقيم أحفل إنتاجات المؤسسة العامة للسينما في سوريا، بصورة رائدة، في وقت كانت مهنة المخرج السينمائي فيه مهنة بمهمة وغير معروفة بعد، فقدم أعماله التي ما زالت في الذاكرة، وما زالت مؤثرة في من يتابعها من أجيال قادمة، فهو المخرج ذو العلاقة الفارقة في إنتاجات السينما المحلية.

* بيت ليلم الخلط بين العمل التلفزيوني والسينمائي، فماذا تقول في ذلك؟

من يفكري ويعتقد أن السينما حكاية فهو حكاً ما يلي: سيفي في عقليات التلفزيون، والتلفزيون هو أكبر حوكى في حين السينما لا تعنى إلا على جزء بسيط من الحكاية، لتفوته في مجاهدها وفي مواره حروف تلك الحكاية.

• ما الذي أدرك في شخصية «أسمهان» حتى تسعى للبحث في تاريخها؟

اعترف «أسمهان» بشخصية برأممية فبرالية وإشكالية، وكثيراً ما شغلتني شخصية هذه المرأة لتقديمها في عمل سينمائي، وبالنشوة هي أيقونة وطنية، وهو المخرج يعيش تغيراً في النهاية.

• في تفرد كفانا ومخراج سينمائي ماذا تريدين أن تقول؟

أريد من الفن عموماً والسينما خصوصاً مطلقاً، لكنني أدرك إنها كفة اختصار على شخصيتها التي تقول هذا وهذا وذلك لم يتحقق في الأشياء التي يمكن للمرء العادي بادئاته المحدودة أن يقولها، وذلك يعنينا المفهوم العام، وفي النهاية وجدت أن عملاً تلفزيونياً من سعي حلقه قد لا يتناسب لما أريد، فكان القرار أن يجعل من المتابع والمتلقى قادرًا على اكتشاف نفسه، وإعادة اكتشاف نفسه، وعاصفة اكتشاف العالم من جديد، والرواية من منطلق جديد، وخلق جديد، فجعل المخرج في حاليها عندها صفة الأسطورة «أسمهان».

• ما المصادر التي اعتمدت للبحث وجمع المعلومات؟

أنه قال ما لم تستطع أن تقول.

• في تلك القصة التي التقى فيها نبيل الملاح في كل القصص التي التقى فيها كان مسلسل

«أسمهان» الذي اتفقت ٣ شركات انتاج

على العمل فيه قد أذخرته عن طريقه، وعلى القارئ أن يطلع على ملخصه على

كل حب، فهو من قدر «نبيل الملاح» قريب الفنانة

للمخرج عن تجربة وأخرى أن يهرب إلى الرسم والموسيقى والقراءة والأفلام التسجيلية، وفي آخر تجاري التي شهدتها كان نعمل في مشروعات للهيئة السورية لشؤون الأسرة، ففجأ الجميع بفيلمه التسجيلي الراقي المفزع (العشام ودينبي) وجرت حوله ندوات كثيرة، ولقي ردود أفعال متضاربة، لكن الملاح قدم ما عجزت عنه الدراما، وحول كل طفل إلى نجم، وكل مهمشة إلى نجمة.

لم يخرج عن تهنيء أبي وقار.. تناول وجبة سريعة في ركن مخصوص، أصابعه ترتجف، لا يتم طعامه.. يخرج إلى الشمس

الحارقة، يبدأ التهاب لفافة تبغ مميزة، وحين ينطأط نراعك

يرتجف.. وعند الوداع تدمع عيناه كثيراً، ويطبل عنانه، لا

أنسي عبارته التي دونتها قبل مدة: (العشام ودينبي) نظرت

إليه، فقال لا تصدى، أنا لا دور لي، أنا الكومبارس عالشام ودينبي..!

هل كان نبيل الملاح بقامته الأعظم من الإكسسوارات التي تقول: أنا قامة سورية شامية يختصر رحله في بقايا صور؟ ربما..

وداعاً نبيل، وأنت تعلم أنني سأشاتلك، ونلتقي ونتحاور

باختلاف، لكن بصوت الخفيض الذي لا يغار الذكرة.

وستبقى السينمائي الخالص للسينما، المؤسس والعاشق،

المخاصس السينمائية بضمونها كافة رواية وتسجيلاً..

رحلت أنها نبيل وفي فمل كلام كثير لا أود ذكره إذ اكتشفت

الحقيقة مبكراً، ولكن بعد أن خسرتك الكاميرا مبدعاً في

الأزرقة والأحياء، وافتقد الإنسان الذي جعلته هك عمستك

التي تنقل الجر العاثر، وتصور نزف الإنسان..

وداعاً بليل، وقد بقيت على قناعاته ولم تحد عنها حتى رحلت

وأنت ترقب الشمس الساطعة الحارقة التي تتفقد روعة

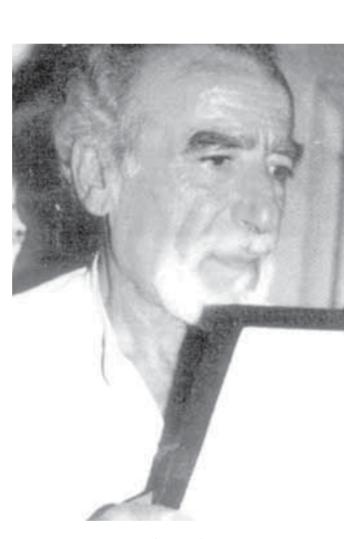
شمس دمشق التي أمنتها.. مختلف مع بعضها أو تتفق مع

البعض الآخر لكن الشيء الذي لا يختلف عليه أنت كتب نبيل حتى أبناء الخلاف معك.

وداعاً أيتها القامة السورية التي ينذر أن تجود الكاميرا بمثل رهافتها.

سامعيل مروة

شاهين سيفاتا.. حكاية من صلب الواقع إلى تنويعات الأدب



| أحمد محمد المسح

لأنه يهدى لحادية شعبية في العصر

والتنوع من بعدهما الأبد بها الشكل..

من هذه الحادثة التي أغرت الإبداع

حين كانوا شباباً شكلوا هذه الحادثة

رصيداً معرفياً عندها، عن طريقهم، بعد أن

تحولوا إلى شاذات إبداعية تختاري.. هنا

يجري البحث في حكاية قرية سيفاتا من

ريف حماة، التي تفتق شعيباً سفاغاتي،

التي عانت في أربعينيات القرن

الماضي بعد الاستقلال بين شعيباً سفاغاتاً

فلا يرى في سيفاتا حلاً يوصلها إلى

الحياة، وهو يرى في سيفاتا حلولاً

لهم ينفعونها

أي مساعدة

لهم ينفعونها

لهم ينفعونها